

( ) - ( / )

أستاذ مساعد ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، الرياض  
(قدم للنشر في ١٥/١١/١٤٢٥هـ، وقبل للنشر في ٦/٨/١٤٢٦هـ)

. ظهرت دولة الأشراف السعديين مع مطلع القرن ١٠هـ/١٦م في بلاد المغرب في الوقت الذي وصل النفوذ العثماني فيه إلى الجزائر ، فأبدى العثمانيون رغبة في ضم المغرب إليهم. ولكن السعديين تصدوا لهم غير معترفين بشرعية خلافتهم ، مدعين بأن الخلافة فيهم نظراً لكونهم من قریش. وقد أدى هذا التباين في وجهة النظر حول مسألة شرعية الخلافة إلى استمرار الخلاف والنزاع بين الطرفين غير مكترئين بالنتائج الخطيرة التي ترتبت على ذلك.

ظهرت الدولة السعدية في جنوب المغرب الأقصى مع مطلع القرن ١٠هـ/١٦م. وقدر لها أن تتغلب على جميع منافسيها في البلاد وأن توحد المغرب ، وبالتالي يتطلع حكامها إلى منافسة جيرانهم العثمانيين في الجزائر التي أصبحت ولاية عثمانية منذ عام ١٥١٨م. فكان للسلاطين السعديين موقف من مسألة الاعتراف بأحقية سلاطين بني عثمان بحمل لقب خليفة المسلمين. وقد ظهر هذا الموقف جلياً خاصة في فترة حكم كل من : محمد الشيخ السعدي (٩٤٦هـ/

فهد بن محمد السويكت

١٥٣٩م - ٩٦٤هـ/١٥٥٧م) والذي اغتاله الأتراك، بسبب تحديه لهم وعدم الاعتراف بالتبعية للباب العالي. وكذلك في عهد المنصور السعدي (٩٨٦هـ / ١٥٧٨م - ١٠١٢هـ/١٦٠٣م) الذي حاول إحياء الخلافة الهاشمية على حساب الخلافة العثمانية. إن مسألة الخلافة قد نظر لها السلاطين السعديون من خلال نسبهم الشريف وأن الخلافة في قريش وغيرهم متغلب، ومن هذا المنطلق اعتبروا بأن سلاطين بني عثمان أعاجم لا تصح الخلافة فيهم، وبالتالي لا يجب الاعتراف بنفوذهم، حتى ولو أدى ذلك إلى خوض حرب ضدهم. فما هو الزياني المتأخر عن عهد الدولة السعدية يقول: "ومن الفرض في علم النسب أن يعلم المرء أن الخلافة لا تجوز ولا تصح إلا في ولد فهد بن مالك بن النضر بن كنانة، ولو وسع جهل هذا لأمكن إدعاء الخلافة لمن لا تحل له، وهذا لا يصح أصلاً."<sup>(١)</sup>

وهذا البحث معني بتقديم وجهة النظر السعدية حيال مسألة الخلافة دون الدخول في تفاصيل الموضوع بأبعاده الفقهية في تراثنا السياسي.

رغم انحسار الخلافة الأموية عن قرطبة عام ٤٢٢هـ، والخلافة الفاطمية عن المهديّة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري والخلافة الموحدية عن مراكش في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، فإننا نلاحظ بأن المرينيين لم يتلقبوا بها، وأنها قد انتهت إلى تونس في خلافتها الحفصية الموحدية ولكن الخلافة الحفصية لم تكتسب شرعيتها الكاملة في ظل استمرار حكم الأسرة الموحدية في مراكش وتمسك حكامها بتراثها التاريخي

(١) الزياني، أبو القاسم،

محمد بيضون، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٤٥.

ومن ضمنه لقب الخلافة وإمارة المؤمنين، ولهذا ظهر الحفصيون في حالة انشقاق عن خلافة مراكش. وكان بنو مرين ممن بايعوا الحفصيين بالخلافة وتخلوا عن بيعتهم لخلافة الموحيدين وعملوا تحت إمرة الخلافة العامة للمسلمين في تونس الحفصية. لكنهم بعد ذلك اصطدموا معهم وتفوقوا عليهم في ميدان الجهاد الأمر الذي جعل أشراف مكة يباركون هذا التوجه، مع أنهم لم يعلنوا خلافتهم وتأجل إعلان ذلك إلى العهد السعدي. أما الخلافة الحفصية فقد تفككت دولتها ودخلت في إطار الدولة العثمانية وسبقتها إلى نفس المصير الدولة المملوكية وخلافتها العباسية بل وأشراف مكة. وعندما بلغ العثمانيون بنفوذهم إلى حدود المغرب، كانت دولة السعديين حينذاك ما زالت في مرحلة النشأة. ومع ذلك سرعان ما تطورت تلك الدولة الناشئة لتتصدى للتوسع العثماني وتتصدى أيضاً لميراث الخلافة الإسلامية بعد أن بدت الخطوة المؤجلة في سبيلها من عهد المرينيين<sup>(٢)</sup>.

أصبحت الدولة العثمانية بعد ضم الشام والحجاز ومصر في أوائل القرن العاشر الهجري، هي دولة الخلافة الإسلامية بصرف النظر عن حقيقة حقهم في التلقب بلقب الخلافة، ومع ذلك يبقى أيضاً أن العثمانيين لم يكن لهم حق حمل لقب الخلافة العامة للمسلمين أو إمارة المؤمنين ما دام هذا الحق ظل في اعتقاد بعض مدارس أهل السنة وتراثهم الفكري قاصراً على نسل قريش. سواءً حدث بالفعل أن تنازل الخليفة المتوكل، آخر الخلفاء العباسيين، عن هذا اللقب للعثمانيين أم لم يحدث. كما أن هؤلاء لم يكتروا بهذا اللقب العباسي، وفضلوا عليه ما حصلوا عليه من صيت عظيم عن حمايتهم للعالم الإسلامي وأراضيه المقدسة. وعندما توجه العثمانيون إلى المغرب كانوا قد امتلكوا إمبراطورية إسلامية كبرى ولم يعد غير سلاطينهم من يحمل لقب الخليفة وهو اللقب

، دار الثقافة، الدار البيضاء،

(٢) حسن، إبراهيم شحاته،

الذي حملوه قبل القرن السادس عشر كلقب إداري أو شرفي. وصار ابتداءً من القرن السادس عشر يعني اللقب السياسي والديني.<sup>(٣)</sup> ولم يعد سلاطين آل عثمان حماة الحدود الإسلامية وثغورها فحسب، وإنما أضحوا حماة العالم الإسلامي. ويبدو أن انتهاء الخلافة العباسية بالمشرق والخلافة الحفصية بالمغرب في النصف الأول من القرن السادس عشر وبالتالي إهمال ذكر خليفتي - عباسي وحفصي - لم يعد لهما دور في تسيير الأحداث وحسمها وبذلك أصبح ميراث لقب (الخليفة) وتراثه التاريخي متصلًا بالدولة العثمانية والتي صارت بدورها في القرن السادس عشر دولة الخلافة الإسلامية.<sup>(٤)</sup>

إن تسلّم السلطان سليم مفاتيح الكعبة من ابن شريف مكة عام ١٥١٧م، قد كرس دوره كخليفة وأمير للمؤمنين وبذلك أصبحت للسلطان سليم سلطتين دينية وسياسية على شرق المتوسط وكان يريد توسيع هذه السلطة على غربه حيث كان يريد استكمال شروط الخلافة بضم بقية دول شمال إفريقيا لنفوذه. فالسلطان العثماني الذي أضاف إلى ألقابه لقب خادم الحرمين الشريفين أصبح مسؤولاً عن حماية المسلمين شرقاً وغرباً. ثم إن واجب السلطان كخليفة للمسلمين، كان يحتم عليه الدفاع عن الحوض الغربي للبحر المتوسط وحمايته من المد المسيحي. ولكي يتمكن السلطان من الاضطلاع بهذه المسؤولية فإن الواجب كان يقضي أن تكون هذه المناطق خاضعة للسلطة العثمانية. وعلى هذا الأساس جاء تدخل العثمانيين في منطقة المغرب.<sup>(٥)</sup> وكان ينبغي أن تعلن باقي

(٣) حسن، إبراهيم شحاته، ، منشأة المعارف، الإسكندرية،

١٩٨١م، ص ١٠٣-١٠٤، ١٣٨.

(٤) حسن، إبراهيم شحاته، ، ص ٩٦.

(٥) النظام، زهراء، ، سلسلة من الأبحاث

تحت عنوان: العثمانيون والعالم المتوسطي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط،

الدار البيضاء، ٢٠٠٣م، ص ٦٧.

مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية

دول المغرب طاعتها للسلطان العثماني ليتمكن من مواجهة التحدي المسيحي في غرب البحر المتوسط. ومن هذا المنطلق كانت محاولات السلطان العثماني مع محمد الشيخ السعدي لدفعه إلى الاعتراف بالسلطة العثمانية والذي نتج عنه اصطدام الطرفين عسكرياً في عام ١٥٥١م ودفع كل منهم إلى إعادة النظر في علاقته مع الآخر، حيث وجد الأتراك أنفسهم أمام سلطة جديدة تحمل نفس الطموحات السياسية والدينية، ويدعي أصحابها أنهم يحملون معهم المشروع التي أصبح يفترقها منافسهم.<sup>(٦)</sup> وحين انضمت كل من الجزائر وطرابلس الغرب وأخيراً تونس إلى نفوذ الباب العالي وأصبحت في نطاق الخلافة الإسلامية التي يرى السلاطين العثمانيون أنهم استحقوها بتنازل محمد المتوكل العباسي عنها لسليم الأول عند فتح مصر، لم يعد بالإمكان أن يشذ بلد مثل المغرب الأقصى عن سلطة الخلافة.<sup>(٧)</sup>

اعترف الوطاسيون الذين خلفوا المرينيين بفاس حوالي عام ٨٦٩هـ / ١٤٦٤م، بالخلافة العثمانية أواسط القرن ١٠هـ / ١٦م، غير أن هذه التبعية الرمزية لم تمس بشيء سيادة المغرب الداخلية أو الخارجية. ومع فجر العهد السعدي بدأت سياسة مغربية جديدة ترفض الخضوع بتأناً للخلافة العثمانية، لأن فكرة هذا الاستقلال عن العثمانيين تنطلق قبل كل شيء من انتماء الدولة إلى السلالة النبوية.<sup>(٨)</sup> فالتطور الذي حصل في موضوع الخلافة عام ١٥١٧م، عندما انتهت الدولة العباسية بضم العثمانيين لمصر، هذا الأمر

(٦) النظام، زهراء، ص ص٧٠ - ٧١.

(٧) حججي، محمد، ج ٢، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٥٢٤.

(٨) حركات، إبراهيم، " ، مجلة كلية الآداب

والعلوم الإنسانية، الرباط، ع ١١، ١٩٨٥م، ص ٧.

شغل بال المغرب كثيراً. فأمرء السعديين الذين نهضوا بالجهاد في السواحل المغربية ضد المستعمرين البرتغاليين، فكروا في الفراغ الذي تركه اختفاء الخلافة في مصر. وأبرز هؤلاء الأمراء هو محمد الشيخ الذي كان له مبادرات واضحة في هذا الخصوص.<sup>(٩)</sup>

إن محمد الشيخ الذي تلقب بـ "القائم بأمر الله" وأخيه أحمد الأعرج لم ينتحل أي منهما لقب الخلافة في بداية أمرهم، مراعاة للسلطان الوطاسي وانتظاراً للحصول على نفوذ سياسي أوسع فكل منهما اكتفى بلقب الأمير وإن كان لفظ "القائم بأمر الله" من ألقاب الخلافة التقليدية وبالطبع لم يلتفت أحدهما إلى الباب العالي الذي لا شك كان يتتبع أخبارهما عن طريق ولاية الجزائر. ولكن ما أن استولى محمد الشيخ على مراكش في عام ١٥٤٤م، إلا واتخذ لقب الخلافة. ومن الغريب أن عدداً من كبار الفقهاء في مكناس وفاس قد رفضوا بيعة السعديين في الوقت الذي يتمسكون فيه ببيعة دولة لم تكن لها قط سيادة كاملة على المغرب وهي دولة الوطاسيين التي هي في نفس الوقت تابع لدولة أخرى.<sup>(١٠)</sup> وقد اعتمد السعديون في مسألة البيعة على نسبهم وتراثهم الشريف ولذلك تمسك السعديون بمسألة القرشية والانتماء للسلالة النبوية كإيحاء منهم بأفضليتهم على منافسيهم في المغرب والعثمانيين في المشرق كتأكيد لحقهم الشرعي في خضوع حكام المناطق المجاورة لهم مؤكدين، من وجهة نظرهم، بأن البيعة في قریش سادة العرب وهم منهم.<sup>(١١)</sup> ولا شك أن تدخل العثمانيين في شؤون المغرب ومساعدتهم للوطاسيين لم يتم

(٩) الغريبي، محمد، ، وزارة الثقافة والإعلام في العراق،

الكويت، ١٩٨٢م، ص ١١٢.

(١٠) حركات، إبراهيم، " ... ، ص ٧، ٨.

(١١) Willis, J. R., The Bayca in Islam, and Some aspects of the Bayca in Morocco's relations with the

western Sudan, منشور باللغة الإنجليزية ضمن أعمال مؤتمر المغرب وأفريقيا جنوب الصحراء في

بدايات العصر الحديث، منشورات معهد الدراسات الأفريقية، الرباط، ١٩٩٢م، ص ٢٢١.

إلا بعد مراودة طويلة لمحمد الشيخ لحملة على إعلان تبعيته للباب العالي وأنه لم يتخذ صورة التدخل العسكري إلا بعد أن يأس أتراك الجزائر من حملة على الدخول في طاعة الخليفة العثماني.<sup>(١٢)</sup>

ويشير أحد المتعاطفين مع الأتراك إلى أن السعديين كانوا يسعون لإعلاء مركزهم فادعوا الخلافة لأنفسهم ورئاسة العالم الإسلامي، لكن الجميع رفض ادعاءاتهم.<sup>(١٣)</sup>

إن مؤرخي الدولة السعدية قد كرسوا كتاباتهم حول مسألة مشروعية الخلافة للسعديين ونفيها عن غيرهم. فالحكام السعديون نظراً لأصلهم العربي ونسبهم الشريف كانوا يعتبرون دولتهم بعثاً وتجديداً للخلافة الهاشمية المنقرضة وأنهم أحق بخلافة المسلمين من الأتراك العثمانيين الذين هم من "جملة المماليك والموالي الذين دافع الله بهم عن المسلمين وجعلهم حصناً وسوراً للإسلام وإن كان أكثرهم وأكثر أتباعهم ممن يصدق عليهم قوله ﷺ: إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر. وإن كانوا إنما حُمّلوا الإمارة وقُدِّدوا الأمر في الحقيقة نيابة وأمانة يؤدونها إلى من هو أحق بها وأهلها، وهم موالينا وسادتنا الشرفاء ملوك بلاد المغرب، الذين شرفت بهم الإمامة والخلافة وكل مسلم لا يقول عكس هذا ولا خلافه... وقد أجمع المسلمون على أن الخلافة لا تنعقد إلا لمن هو من صحيح قریش...".<sup>(١٤)</sup> ويقول ابن القاضي بهذا الصدد: "الحمد لله الذي رفع أعلام الخلافة بعد نكوصها ونكوصها... وجدد معالمها الدارسة وأركانها الطامسة يلمّة من عترة

(١٢) حرکات، إبراهيم، "...، ص ٨.

(١٣) إلترو، عزيز سامح، ، ترجمة محمود عامر، دار النهضة

العربية، بيروت، ١٩٨٩م، ص ٣٤٦.

(١٤) التمكنوتي، علي بن محمد، ، تقديم وتحقيق عبداللطيف

الشادلي، المطبعة الملكية، الرباط، ٢٠٠٢م، ص ١٣٥.

نبيه...".<sup>(١٥)</sup> ويعلق محقق كتاب ابن القاضي مشيراً إلى أن المؤلف كان يرمز إلى أن السعديين لشرفهم هم أحق بالخلافة من الأتراك.<sup>(١٦)</sup> ويمثل ما سعى المؤرخون المعاصرون للسعديين في تكريس الخلافة لهم، فقد حاولوا أيضاً التحامل على الدولة العثمانية وتشويه سمعة الأتراك. فابن القاضي يتكلم عن بعض الأحداث في تونس على عهد الحسن الحفصي وتدخل خير الدين باربروسا في شؤونها في عام ١٥٢٩م، حينما كان معه الرشيد أخو الحسن الحفصي، لكن خير الدين لم يمكنه من حكم بني حفص لما تغلب على تونس. فيقول ابن القاضي عن الأتراك: "فبعثوا به مع خير الدين، فأخذوا البلاد وملكوها، ثم بعد ذلك مسكوا الرشيد وبعثوه إلى القسطنطينية على ما هو معهود من غدرهم"<sup>(١٧)</sup>. ويتحدث التمكروتي عن الأتراك في ليبيا عندما مر بها في عام ٩٩٧هـ / ١٥٨٩م مشيراً إلى أنهم قد جاروا على أهلها وأفسدوا فيها وضيقوا عليهم في أرضهم وديارهم وأموالهم واستباحوا حريم المسلمين "حتى أن بنت الإنسان من الأعيان والأكابر إذا كان لهم فيها غرض لا يقدر أحد أن يمنعها منهم، أعني بالنكاح، ولا أن ينكحها لغيرهم. إلى غير ذلك من الذل والإهانة التي هم فيها معهم.... وقد رأينا منهم العجب العجاب في كثرة اشتياقهم وحنينهم إلى حكم موالينا الشرفاء وما كان فيه أهل المغرب معهم من الراحة والعدل والرفق والنعمة"<sup>(١٨)</sup>. ويواصل التمكروتي حديثه في موضع آخر مشيداً بالسعديين فيقول: "وها هم ساداتنا الشرفاء خلد الله ملكهم بعد ما حصنوا أرض المغرب ونفوا عنه

ج ١، دراسة وتحقيق محمد

(١٥) ابن القاضي، أحمد،

رزوق، مكتبة المعارف، الرباط، ١٩٨٦م، ص ٢٣٧.

(١٦) ابن القاضي، ، ٢٦٣/١.

(١٧) ابن القاضي، ، ٤٦٧/١.

(١٨) التمكروتي، ، ص ٧٥.



مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية

رجس الكفر، أمثلوا السنة في الابتداء بميامن الأرض، فيدخلون بلاد السودان ويملكونها ويستولون على سائر أقاليم الأرض ويملكونها منهم. بنص حديث المهدي الذي يملك الأرض ويظهرها من ظلم جبابرة الأعاجم وجورها".<sup>(١٩)</sup> ولا شك أن مثل هذه النصوص التي ترد في بعض كتابات المغاربة وخاصة من عاصر منهم فترة الدولة السعدية، تظهر مدى تعاطفهم مع السعديين أثناء فترة عدائهم للعثمانيين.

لقد فتح مؤسس الدولة السعدية منذ سنة ٩١٥هـ / ١٥١٠م الطريق لأعقابه بفضل لقب "القائم بأمر الله" الذي اتخذ رسمياً حتى يسيروا بعيداً في توسيع رقعة نفوذهم لتبرير حق الخلافة الذي طمحووا إليه. فكان المنصور السعدي يحرص على أن تتردد عبارات في خطبه ومحاضراته مثل: قرشية الخلافة وانتمائه إلى السلالة النبوية ونحو ذلك.<sup>(٢٠)</sup>

إن تزامن ظهور الشرفاء السعديين كسلطة جديدة في المغرب وبداية استقرار السلطة العثمانية في شمال إفريقيا وخصوصاً في الجزائر أدى إلى نوع من سوء التفاهم في موضوع نوعية العلاقة بين الدولتين. فمسألة الوصول إلى المغرب بالنسبة للباب العالي مسألة خاضعة لمنطق التوسع العثماني الهادف -نظرياً- إلى توحيد الأمة وتثبيت الخلافة الإسلامية كما كانت عليه أيام الدول الإسلامية السالفة (بنو أمية - بنو العباس)، خصوصاً وأن العثمانيين كانوا يعدون أنفسهم ورثة لتلك الدول. أما بالنسبة للدولة السعدية الناشئة فالأمر مختلف. فقد اعتاد المغرب منذ القرن ٢هـ أن يسير أموره بنفسه دون تبعية لدولة مركزية في المشرق أو الأندلس. لذلك فإن ظروف التأسيس وصعوبة البدايات جعلت السعديين الأوائل يتعاملون مع الأتراك بنوع من التشنج. أما العثمانيون فلم يروا في السعديين الأوائل إلا نواباً عنهم في القيام بوظيفة الجهاد، كما جاء في إحدى مراسلات

(١٩) التمكروتي، ، ص ١٣٧.

(٢٠) حركات، إبراهيم، "...، ص ص ٨، ١٢.

السلطان سليمان القانوني لمحمد الشيخ السعدي واعتباره له كأحد حماة الدين وإنعامه عليه ببعض الخلع دون أن يعني ذلك اعترافاً منه به أو معاملته على أنه سلطان دولة مستقلة. لذلك ظلت الدولة العثمانية تراقب كل ما يجري في المغرب السعدي وتتدخل كلما واتتها الفرصة.<sup>(٢١)</sup> وعلى النقيض من ذلك لم يعترف السعديون لا بالتفوق السياسي ولا الديني لسلطان الباب العالي.<sup>(٢٢)</sup> إن سليمان القانوني لم يكن يخامر شك في أحقيته بخلافة المسلمين، ولذلك اكتفى في مطالبته لمحمد الشيخ السعدي بمجرد ذكر اسمه في الخطب والعملة اعترافاً منه بالدولة المغربية الناشئة وإقراراً عملياً بملكها في منصبه رئيساً للدولة في مقابل شيء رمزي لا يعدو اعترافاً اسمياً يحفظ مظهر الوحدة الخارجي للبلاد الإسلامية المرتبطة بشكل أو آخر مع الخلافة الإسلامية في استانبول، حين كان محمد الشيخ يطعن في استحقاق ملوك الترك للخلافة ويرى في مطالبته بذكر اسمهم مساساً بسيادته وخيانة للأمة المغربية التي بايعته على السمع والطاعة له أميراً للمؤمنين لا لغيره ولو ادعى خلافة المسلمين. ومن ثم كان خضوع عدد من الأقطار الإسلامية للأتراك - في نظر محمد الشيخ - إنما هو بسبب التسلط والقهر ومنكر لا يقرون عليه. ولا شك أن هذا الموقف قد كلفه كثيراً.<sup>(٢٣)</sup>

كان على السعديين أن يختاروا بين موقفين. إما العودة إلى علاقات المهادة والتحالف مع العدوين التاريخيين البرتغال وأسبانيا وتغليب قاعدة المصالح المشتركة

(٢١) بنمنصور، عبدالوهاب، ، مجموعة بحوث ندوة الأرشيف العثماني التي عقدتها دارة الملك عبدالعزيز في الرياض عام ١٤٢٢هـ، منشورة تحت عنوان: الوثائق العثمانية في الأرشيفات العربية والتركية، ص ص ١٣١ - ١٣٢.

(٢٢) Masson, Paul, *Histoire des établissements et du Commerce Français dans L'Afrique barbaresque* (1560- 1793), Hachette et Cie, Paris, 1903, p.61.

(٢٣) حجي، محمد، ، ٢ / ٥٢٧ - ٥٢٨.

مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية

للظاهرة الاستعمارية على مبدأ الرفض والتحدي في الميراث التاريخي. أو الإستمرار في الأخذ بعلاقات الوحدة الجهادية الإسلامية وتغليب روح التضامن الجهادي في الموقف من الدولة العثمانية. ومن ثم الأخذ بمقتضيات التبعية للدولة الإسلامية الأقوى والولاء لخلافة إسلامية شرقية (عجمية) على حساب الوحدة السياسية (الوطنية) للمغرب وخلافته (العربية الهاشمية).<sup>(٢٤)</sup>

إن موقف محمد الشيخ السعدي من مسألة الخلافة العثمانية يعد هو الأبرز في هذا الموضوع، حيث تجلت من خلاله مظاهر التحدي والعداوة بين الطرفين. ونجد مؤرخاً أسبانياً عاصر تلك الأحداث وعايشها وشارك في جيش محمد الشيخ وخاصة في حربه مع العثمانيين، يسوق لنا تفاصيل ما جرى بين الطرفين. حيث يذكر بأن الشريف محمد الشيخ قد تمكن في عام ٩٥٦هـ/١٥٤٩م من ضم مدينة فاس، فالتجأ بعض أفراد البيت الوطاسي إلى العثمانيين في الجزائر لطلب مساعدتهم ضده، حيث تبتدئ بذلك مرحلة الصراع العثماني السعدي.<sup>(٢٥)</sup> وقد اهتم السلطان سليمان القانوني بما يجري على حدود إمبراطوريته من الغرب، فأرسل خطاباً إلى أمير الأمراء في الجزائر نزولاً عند رغبة حكام الجزائر وبني وطاس، فوصل رسول السلطان إلى مراكش في حدود عام ٩٥٤هـ/ ١٥٤٨م، وقيل بأنه قد دخل على محمد الشيخ بدون استئذان الأمر الذي أغضبه على تصرف هذا الرسول. لكن ربما كان الذي أغاظه كثيراً هو أسلوب ومضمون الرسالة التي وصلت مع الرسول من السلطان العثماني. وخاصة مخاطبته له بشيخ العرب وصيغة الأمر

(٢٤) حسن، إبراهيم شحاته، ، ص ١٣٢.

(٢٥) دي طوريس، ديقو، ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الجمعية المغربية

للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٨م، ص ١٢٧.

الموجهة إليه ، مما جعله يطرد السفير التركي من مجلسه.<sup>(٢٦)</sup> ويذكر دي طوريس عن هذه السفارة بأن الشريف اغتاز جداً من قلة الأدب التي عومل بها لكن ما أغضبه أكثر في رسالة السلطان هي صيغة الأمر التي يطالبه فيها بإطلاق سراح أحد أمراء بني وطاس وامثال أوامره وإلا فإنه سيغتاز من تصرفه. كما أن عنوان الخطاب قد جرح الشريف إذ لم يرض أن يكتب له السلطان العثماني : إلى عاملنا رئيس العرب محمد الشريف وكاد أن يقتل السفير.<sup>(٢٧)</sup>

أورد البعض مقاطع من رسالة السلطان إلى محمد الشيخ مع اختلاف في تاريخها حيث جاء فيها: "إلى الجناب العالي الأميري الكبير الأكرمي... الحسبي النسبي نسل السلالة الهاشمية فرع الشجرة الزكية النبوية طراز العصابة العلوية... حاكم ولاية فاس الشريف محمد دام علوه وزاد سموه...".<sup>(٢٨)</sup> وقد احتفظت الرسالة لمحمد الشيخ بألقاب نسبه الشريف ، ولكن من الناحية السياسية تدرجه في درجة حكام الولايات أو العمالات تحت لقب (حاكم ولاية فاس) بينما تضيفي الرسالة على الوالي العثماني بالجزائر لقباً من الألقاب العالية (أمير الأمراء).

إن الرسائل التي بعثها السلطان سليمان القانوني إلى محمد الشيخ ، هي عبارة عن فرمانات ، اعتبر السلطان من خلالها بأن محمد الشيخ خادماً من خدامه. بمعنى أن المغرب من منظور السلطان يعتبر ولاية عثمانية ومحمد الشيخ مجرد حاكم فيها.<sup>(٢٩)</sup>

(٢٦) إلتز، عزيز سامح ، ص١٧٦.

(٢٧) دي طوريس ، ديقو ، ص١٢٨.

(٢٨) حسن ، إبراهيم شحاته ، ص١٠٣.

(٢٩) بنحادة ، عبد الرحيم ، من منتصف القرن السادس عشر إلى نهاية القرن

الثامن عشر ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، زغوان ، ١٩٩٨م ، ص ص٧٢-

دخل محمد الشيخ في صراع حاد ومسلح ضد الأتراك وذلك منذ أن أصبحت للسعديين حدود مجاورة للأتراك في الجزائر منذ سنة ١٥٤٩م، ويرجع ذلك إلى رفض محمد الشيخ الاعتراف بالسلطان العثماني وإلى قيامه بمهاجمة الأتراك في شرق المغرب وفي تلمسان<sup>(٣٠)</sup> وكان محمد الشيخ قد انتصر على الأتراك في وجدة ولاحق فلولهم وأخرجهم من تلمسان في عام ٩٥٧هـ / ١٥٥١م وتوغل في نواحي الغرب الجزائري وولى على تلمسان نائباً عنه وترك بها حامية مغربية. لكن المغرب لم يلبث أن فقد هذه المكاسب في العام ١٥٥٢م إثر هجمات الأتراك الشرسة على أنصار محمد الشيخ واستعمالهم المدافع ضده<sup>(٣١)</sup>. لقد كان محمد الشيخ ينظر إلى الأتراك كغرباء متسلطين على المغريين الأوسط والأدنى ولا يرى لسلطانهم أي حق في الهيمنة على العالم الإسلامي أي أنه كان يطعن في خلافة العثمانيين ويرى نفسه أحق بها منهم لتوفر شروطها فيه دونهم. وقد ظهرت جلياً فكرة الخلافة عنده بعد أن تمكن من إرساء قواعد الدولة وتشوقت نفسه إلى التحرك خارج الحدود<sup>(٣٢)</sup>. وقد ترجم الأفراني هذه الرغبة لدى محمد الشيخ بقوله: "لما تغلب محمد المهدي - الشيخ - على المغرب ودانت له حواضره وبواديه، تآقت همته العلية إلى بلاد المشرق فكان يقول لا بد لي أن أذهب إلى مصر وأخرج منها الأتراك من أبحارهم وأنازلهم في ديارهم، فتخوف منه السلطان سليمان، وكان أبو عبدالله الشيخ لا يسمي سلطان العثماني إلا سلطان الحواته لأن الغالب على هؤلاء الأتراك السفر في البحر فاتتهى ذلك إلى السلطان فبعث إليه أرساله فلم يحفل بهم"<sup>(٣٣)</sup>.

(٣٠) الفشتالي، عبدالعزيز، ، تحقيق عبدالكريم كريم، وزارة

الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، الرباط، ١٩٧٢م، ص ٣٠ (تعليق المحقق).

(٣١) دي طوريس، ديقو، ، ص ص ١٦٨ - ١٧٣.

(٣٢) حجي، محمد، ، ٥٧٥ / ٢.

(٣٣) الأفراني، محمد، ، نشر بعناية السيد هوداس، ط ٢،

د.ت، ص ٤٢.

بعث الأتراك الفقيه أبا عبدالله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي (ت ٩٦٣هـ / ١٥٥٦م) في عام ٩٦١هـ / ١٥٥٣م لمفاوضة سلطان المغرب محمد الشيخ من أجل عقد هدنة بين الدولتين وعقد اتفاق لتحديد مناطق الحدود بينهما، لكن لم تسفر هذه المفاوضات عن نتيجة<sup>(٣٤)</sup> وقت أتضح موقف السعديين بما هو رائج في كتب التاريخ من أن محمد الشيخ قد أجاب السفير إجابة لا تخلو من تجريح قائلاً: "سلم على أمير القوارب سلطانك، وقل له: إن سلطان المغرب لا بد أن ينازحك على محمل مصر ويكون قتاله معك عليه إن شاء الله".<sup>(٣٥)</sup> وأورد البعض صيغة هذا الجواب باختلاف يسير فقال: "ولما قرأ السلطان أبو عبدالله الشيخ كتاب السلطان سليمان ووجد فيه أنه يدعو له على منابر المغرب ويكتب اسمه على سكتته كما كان بنووطاس حمى أنفه وأبرق وأرعد وأحضر الرسول وأزعجه، فطلب منه الجواب فقال: لا جواب لك عندي حتى أكون بمصر إن شاء الله وحينئذ أكتب لسلطان القوارب".<sup>(٣٦)</sup> ويعلق أحد المؤرخين المغاربة المعاصرين على هذا الموقف مشيراً إلى أن هذا الجواب دليلاً قوياً على أن الحاكم السعدي لم يكن يرى شرعية الخلافة العثمانية. كما يعكس الجواب مدى طموح محمد الشيخ الذي كان يحلم بإمامة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.<sup>(٣٧)</sup>

(٣٤) الجمل، شوقي، ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ١٩٩٧م،

ص ١٦٩.

، ص ١٣٣.

(٣٥) بنمنصور، عبدالوهاب،

(٣٦) الناصري، أحمد،

١٩٥٥م، ص ٢٣.

، شركة الطبع والنشر، الدار البيضاء،

(٣٧) كريم، عبدالكريم،

١٩٧٨م، ص ٨٤.

مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية

وقد أشار بعض المؤرخين إلى أن السلطان سليمان كان يريد سحق الأشراف، لكونهم يدعون أنهم من سلالة النبي وأن الخلافة من حقهم وأن السلطان سليمان مغتصب للخلافة.<sup>(٣٨)</sup>

لقد كان رد الفعل التركي على مواقف محمد الشيخ قوياً، فقد استجابوا لدعوة الوطاسيين وتمكنوا من إخراج السعديين من تلمسان ووجده والوصول إلى مدينة فاس في عام ٩٦١هـ / ١٥٥٤م، وإعادة أبو حسون الوطاسي إلى السلطة بعد أن انهزم أمامهم محمد الشيخ وفر إلى مراكش. ورغم أن هذا الأخير قد تمكن من استرجاع فاس وأجبر القوات التركية على التراجع نحو الجزائر في أواخر عام ١٥٥٤م، إلا أن العلاقات ظلت متوترة بين الطرفين واتقاءً لأي تدخل عسكري تركي في المغرب أخذ محمد الشيخ يتقرب ويتعاون مع الأسبان والبرتغال خصوم الأتراك.<sup>(٣٩)</sup> ويمكن القول بأن استعادة فاس إلى حكم السعديين كانت نقطة تحول مهم في تاريخ الدولة السعدية، فالسلطان محمد الشيخ قد ظهر كخصم عنيد للأتراك ومن المعارضين لسياستهم التوسعية في بلاد المغرب، بل والأكثر من ذلك أنه أعلن أثر دخوله فاس منتصراً بأنه عازم على العودة إلى الجزائر لمنازلة الأتراك هناك، فهذا التنافس السعدي العثماني على شمال إفريقيا، بل وعلى الخلافة الإسلامية كان في صالح الأسبان والبرتغال.<sup>(٤٠)</sup> الذين رحبوا بهذا الموقف من السعديين وأرسلوا رسولاً إلى محمد الشيخ بشأن عقد اتفاق بينهما يهدف إلى طرد الأتراك من شمال إفريقيا نهائياً.<sup>(٤١)</sup> حيث

(٣٨) التر، عزيز سامح، ، ص ١٧٦.

(٣٩) الفشتالي، عبدالعزيز، ، ص ٣٠؛ ابن القاضي، أحمد، ، ص ٢٩٠

(تعليقات المحققين)؛ بنحادة، عبدالرحيم، المغرب والباب العالي، ص ٧٦-٧٧.

(٤٠) كريم، عبدالكريم، ، ص ٨٣.

(٤١) إتر، عزيز سامح، ، ص ١٩٣.

تطابقت وجهات النظر لديه مع خصوم العثمانيين بشأن طرد الأتراك من بلاد المغرب العربي وعزمه على تكوين دولة مغربية عظمى كما كانت في عهد الموحدين، إذ أنه كان يرى أن المغاربة في عصره لا يقلون عن المغاربة في عصر الموحدين، ولهذا رفض دعوة السلطان سليمان القانوني إلى عقد معاهدة يعترف فيها بالخلافة العثمانية.<sup>(٤٢)</sup> لقد اعتبر محمد الشيخ بأن العثمانيين يشكلون خطراً عليه فذهب إلى أبعد من التحالف مع أعدائهم وهو محاولة فرض هيمنة سعديّة على المناطق الصحراوية الجنوبية باسم التبعية للخلافة الإسلامية.<sup>(٤٣)</sup>

حاول العثمانيون من جديد إقناع محمد الشيخ بالاعتراف بالتبعية لهم، وأرسلوا إليه سفيراً يعدونه بالمساعدة لمحاربة المسيحيين شريطة أن يعترف بالسيادة العثمانية، والدعوة للسلطان العثماني على منابر المغرب وكتابة اسمه على السكة لاجتماع كلمة المسلمين واتفاقهم. وقد ذكر البعض بأن سفيرهم إليه ربما كان الخروي نفسه في عام ٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م، الذي أخبر محمد الشيخ بإنعام الباب العالي عليه وعلى ولديه بثلاث خلع سنية لتكون صلة للمحبة والمودة بين الجانبين، ومحاولة من العثمانيين لثنيه عن التعاون مع الأسبان والبرتغاليين ضدهم.<sup>(٤٤)</sup>

غير أن تلك السفارة قد فشلت وربما يعود سبب ذلك إلى النجاح الذي أحرزته المفاوضات المغربية الإسبانية والتي لا شك شجعت محمد الشيخ في التصلب تجاه المطالب العثمانية.<sup>(٤٥)</sup>

(٤٢) عبود، محمد، ج٢، دن، تطوان، ١٩٥١م، ص٧.

(٤٣) Yahya, Dairo, *The ideological Framework of Sacdi Foreign Policy*, p.241، منشور باللغة

الانجليزية ضمن أعمال المغرب وأفريقيا جنوبي الصحراء في بدايات العصر الحديث.

(٤٤) رزوق، محمد، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩١م، ص٩١؛

حسن، إبراهيم شحاته، ص١٢٥.

(٤٥) بنحادة، عبد الرحيم، ص٧٩.



مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية

لقد تحدث مؤلف أسباني معاصر لمحمد الشيخ عن العلاقات العثمانية المغربية والصراع السعدي الوطاسي، واستعانة الوطاسيين بالعثمانيين وتدخل هؤلاء الأخيرين بشؤون المغرب، إلى غير ذلك من الأحداث بين الجانبين لكنه لم يشر إلى أطماع محمد الشيخ في المشرق ولا مراسلاته السيئة مع العثمانيين.<sup>(٤٦)</sup>

إننا نجد من المؤرخين المغاربة المعاصرين من يؤكد على المبادرة السلمية من جانب العثمانيين الذين أعلنوا للحاكم السعدي عن كراهيتهم للحرب الدائرة بين الأتراك والمغاربة وكتأكيد على حسن النوايا تم عزل حسن باشا حاكم الجزائر لميله إلى العنف وعدم مراعاة حسن الجوار وتعيين صالح ريس ليعمل على المصالحة وحسن الجوار. لكن هذا الأخير لم يلتزم على الإطلاق بتعليمات الباب العالي.<sup>(٤٧)</sup>

لقد فشلت جميع المحاولات الدبلوماسية التي قام بها الأتراك لدى محمد الشيخ للدخول في طاعتهم واتضح للأتراك مدى تواطؤ السعديين مع الأسبان والبرتغاليين ضدهم، مما جعلهم يفكرون في غزو المغرب ويهيئون الاستعدادات لذلك، لكن لما تأكد الأتراك من مسألة الهدنة بين المغرب ودولتي شبه جزيرة إيبيريا، عدلوا عن فكرة الغزو عسكرياً واكتفوا بتدبير مؤامرة اغتيال محمد الشيخ في يوم الأربعاء ٢٧/١٢/٩٦٤هـ - ٢٣/١٠/١٥٥٧م.<sup>(٤٨)</sup> ويشير أحد المغاربة الباحثين في المصادر العثمانية أن السلطات التركية تعتبر هذا السلوك مشروعاً ويدخل في إطار عقوبات الخائنين لهم وهو عمل رجولي وبطولي.<sup>(٤٩)</sup> لقد كانت

(٤٦) كرنجال، مارمول، ج ١، ترجمة محمد حجي وآخرين، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٨٤م، ص ٤٨٤ - ٤٩١.

(٤٧) حجي، محمد، ٥٢٧ - ٥٢٥ / ٢.

(٤٨) الفشتالي، عبدالعزيز، ص ٣٠؛ ابن القاضي، أحمد، ص ٢٩٠.

(٤٩) بنحادة، عبد الرحيم، ص ٧٩ - ٨٠.

فهد بن محمد السويكت

طموحات محمد الشيخ أكبر من إمكانياته وتقديره لقواته وقوات خصمه لم تكن دقيقة فدفع حياته وحيات ابنه ثمناً لذلك دون أن يحقق حلمه في الخلافة.

خلف عبدالله الغالب والده في حكم الأسرة السعدية، وقد بادره حسن باشا، بايلر باي (أمير أمراء) الجزائر، بالتدخل في شؤون المغرب عام ٩٦٥هـ / ١٥٥٧م واصطدم مع قوات عبدالله الغالب، لكنه انهزم وخشي تدخل الأسبان ومطاردتهم له فعاد إلى تلمسان.<sup>(٥٠)</sup>

لقد اندفع الغالب في سياسة التقرب من دول أوروبا الغربية والعمل على مهادنتها بدافع الخوف من الخطر العثماني، إلى درجة التنازل لبعض هذه الدول عن أجزاء من التراب الوطني.<sup>(٥١)</sup>

ورغم التباعد الجلي في المواقف بين المغرب في عهد الغالب وبين العثمانيين، إلا أننا لا نعدم بعض التلميحات الهشة التي تشير إلى وجود تقارب بينهما، إثر توسط بعض العلماء والمصلحين، أثمر عن تبادل للهدايا وحسن الجوار الذي استمر حتى وفاة الغالب في عام ٩٨١هـ / ١٥٧٤م.<sup>(٥٢)</sup>

أما ما ذكره عبداللطيف الحميد بشأن علاقة عبدالله الغالب بالعثمانيين فهو موضع نظر. فقد ذكر بأن السلطان سليم الثاني وجه مرسوماً إلى علماء وأعيان فاس ومراكش في سنة ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م، بشأن الرد على طلب الأهالي تولية الشريف عبدالمؤمن بدلاً من أخيه الحاكم عبدالله الغالب، وأوضح العثمانيون للأهالي لزوم الإبقاء على عبدالله

(٥٠) إلتز، عزيز سامح، ، ص ٢٠٣.

(٥١) كريم، عبدالكريم، ، ص ص ٨٦ - ٩٣.

(٥٢) حسن، إبراهيم شحاته، ، ص ص ١٨٣ - ١٨٥ ؛ إلتز، عزيز سامح،

، ص ص ٢٣٥ - ٢٣٧ ؛ بنحادة، عبد الرحيم، ، ص ٩٠.

مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية

وطاعته: " فلا جرم قبل تاريخ هذا المنشور العالي والدي المرحوم... سليمان خان... نصب المشار إليه أميراً لتلك الولاية وأنعم مرسوماً شريفاً فأرسل المشار إليه ذلك المرسوم إلى سدتنا العلية بطلب تجديده فأعطيناه من سدتنا السنية منشورنا السني الخاقاني فمرسومنا الشريف المطاع وأمرنا المنيف واجب الاتباع أن تكونوا مع فخر الأمراء المشار إليه على أحسن حال وأكمل اتحاد لرايه السديد مطيعين ولفكره الصايب منقادين".<sup>(٥٣)</sup>

يفهم من هذا المرسوم أن العثمانيين في عهد سليمان القانوني كانوا قد أصدروا مرسوم تولية عبدالله الغالب على المغرب بعد أن اغتالوا والده محمد الشيخ، وأن الغالب قد أرسل بطلب تجديد مرسوم السلطان في عهد سليم الثاني وأن هذا الأخير قد وافق على ذلك.

إننا لا نجد في المصادر المغربية ما يشير إلى إثبات هذه التبعية السعدية، وخاصة في عهد الغالب للعثمانيين بل على العكس من ذلك نجد بوادر العداوة من الغالب نتيجة لاغتيال والده من قبلهم. والذي يظهر لنا من خلال المرسوم الذي أرفق الدكتور الحميد صورته، أنه لم يفهم كما ينبغي. فالسلطان سليم يريد من أهل المغرب (فاس ومراكش والسوس) أن يتخلوا عن عبدالله الغالب وأن يبايعوا أخاه عبدالمؤمن الذي أثنى عليه السلطان كثيراً في مرسومه: "... على أن من أولاد الشريف محمد .... الشريف عبدالمؤمن أدام الله تعالى سعده وأنجح قصده... ولكونه أولى لضبط تلك الولاية من عبدالله المذكور..".<sup>(٥٤)</sup> خاصة وأن عبدالمؤمن هذا قد ثار على أخيه الغالب حينما كان خليفته في مراكش في عام ١٥٥٨م، ثم استنجد بوالي الجزائر الذي رحب به وزوجه إحدى بناته،

(٥٣) الحميد، عبداللطيف،

١٩٩٣م، ص ٩٥.

(٥٤) الحميد، عبداللطيف،

ص ١٤٧.

، دن، الرياض،

ثم ولاه على تلمسان<sup>(٥٥)</sup> لذلك فإن التصريح بذكر اسم الشريف عبدالمؤمن وتزكيته بكونه أولى لضبط المغرب من عبدالله، يدل على عدم رضا الدولة العثمانية على الغالب ورغبتها الجادة في تولية أخيه.

حاول الباب العالي، بعد أن فشل في حمل عبد الله الغالب على تغيير مواقفه، أن يخاطب العلماء والصلحاء والوجهاء في بلاد المغرب من أجل نبد طاعة الغالب واختيار أخيه عبد الملك بدلاً منه. لذلك فإنه يبدو بأن فكرة تجديد مرسوم التولية، الذي سبقت الإشارة إليه، كان بإيعاز من باشوات الجزائر والذين كانت تربطهم علاقات وثيقة مع بعض العلماء والوجهاء في المغرب الذين لم يكونوا على وفاق مع الغالب.<sup>(٥٦)</sup>

ومما يعضد رأينا في أن الغالب لم يعترف بسلطة العثمانيين عليه هو أنه بعد وفاة عبدالمؤمن والتجاء أخيه عبدالمملك إلى العثمانيين، كتب السلطان إلى الغالب رسالة يأمره فيها بأن يعين جزءاً من ولايته لأخيه عبدالمملك الذي تذكر الرسالة بأنه: "مظهراً للإخلاص والعبودية والانتماء لجاء بكنف حمايتنا ومختصاً لأبوابنا السنية".<sup>(٥٧)</sup>

بعد وفاة عبدالله الغالب ٩٨١هـ / ١٥٧٤م، توجه بعض أخوته إلى الجزائر ومنهم عبدالمملك وأحمد للإستنجاد بالعثمانيين ضد المتوكل بن الغالب لذلك أصدر السلطان العثماني فرماً إلى أمير الأمراء في الجزائر رمضان باشا يأمره بغزو فاس وتنصيب عبدالمملك حاكماً عليها. وبعد استلام عبدالمملك حكم فاس جدد بيعته للأتراك، كما قدم أهالي فاس طاعتهم للسلطان العثماني ودعوا له بطول العمر ودوام الإقبال وقد سر

(٥٥) كريم، عبدالكريم، ، ص ٨٧.

(٥٦) بنحادة، عبد الرحيم، ، ص ص ٨٤-٨٧.

(٥٧) الحميد، عبداللطيف، ، ص ١٥٥.

مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية

السلطان بذلك.<sup>(٥٨)</sup> وأرسل رسالة إلى عبدالمملك يحثه فيها على دوام الصداقة وحسن الجوار وخاصة مع ولاية الجزائر، ثم أتبعها بأخرى يؤكد فيها على دوام التبعية وحسن الجوار ويصرح في رسالته الثانية بأنه وحده خليفة المسلمين "أن الله تعالى... لما أنعم وتفضل علينا بتقليد خلافته في الأراضين..."<sup>(٥٩)</sup>

تشير بعض المصادر إلى أن هدايا عبد الملك وغيره من السلاطين السعديين التي كانوا يقدمونها للباب العالي، كانت عبارة عن ضريبة التبعية، فهي عنوان لتبعية المغرب للعثمانيين، في حين يعتبرها البعض وسيلة ذكية للتخلص من العثمانيين.<sup>(٦٠)</sup>

ورغم أن عبدالمملك قد قلد الأساليب التركية في مظاهر اللباس والسلاح والمراتب العسكرية، إلا أنه يبدو بأنه لم يلتزم بكل ما وعد به العثمانيين غداة مساعدتهم له في استرجاع السلطة. لذلك نجد أصابع الإتهام تشير إلى الأتراك في مسألة وفاة عبدالمملك وأن لهم دور في تقديم السم له. وأنه قد اسقط في أيديهم لما تولى أخوه أحمد المنصور الحكم من بعده مباشرة في عام ٩٨٦هـ / ١٥٧٨م.<sup>(٦١)</sup>

يبدو أن مسألة المطالبة بالخلافة لدى السعديين قد خفت حدتها بعد وفاة محمد الشيخ السعدي فإنه الغالب انشغل في مسألة التقارب مع المسيحيين في سبيل مدافعة الخطر العثماني عن بلاده. وعبدالمملك لم تسعفه الظروف ليعلن موقفه الواضح تجاه العثمانيين، بينما سنجد انبعثاً جديداً لموضوع الخلافة في عهد أحمد المنصور السعدي.

(٥٨) إلتز، عزيز سامح، ، ص ص ٢٤٩، ٢٥١.

(٥٩) الحميد، عبداللطيف، ، ص ص ٢١٥ - ٢٢٠؛ بنحادة، عبد الرحيم،

، ص ص ١٠٠ - ١٠١.

(٦٠) بنحادة، عبد الرحيم، ، ص ٩٩.

(٦١) الفشتالي، عبدالعزيز، ، ص ٤١ (تعليق المحقق)؛ كريم، عبدالكريم، ،

ظهرت فكرة الخلافة مرة ثانية عند السعديين وبكيفية أقوى وتقديرات أكثر واقعية مع أحمد المنصور. فأحمد كان أحب أولاد محمد الشيخ وأقربهم إليه، فنشأ متشبعاً بأفكاره في الخلافة وغيرها. ولما تمت له البيعة بعد معركة وادي المخازن الشهيرة، عرف كيف يوازن حساباته محافظاً بكل الوسائل على حسن العلاقات مع الأتراك الذين كان لهم الفضل في إعادته وأخيه عبدالمملك إلى السلطة دون أن يتخلى عن فكرة الخلافة. وتعد هذه المرحلة التي طالت حوالي أربع سنوات من أخطر المراحل في حياته إذ كان مصيره ومصير فكرة الخلافة عنده رهيناً بنجاحه أو فشله فيها. وحرصاً من المنصور في الحفاظ على نوع من الصلات الودية مع الأتراك، فقد كاتب السلطان مراد الثالث مخبراً بالانتصار في معركة وادي المخازن.<sup>(٦٢)</sup>

يشير ع. س. إتران المنصور أرسل بعد البيعة رسالة إلى السلطان مراد يعرض فيها تبعيته له فرد السلطان جواباً على تلك الرسالة بسفارة ليعبر عن فرحه وتهنئته له بالنصر.<sup>(٦٣)</sup>

إن هذه التبعية التي يشير إليها ذلك المؤرخ لا تثير الشكوك وخاصة من قبل رجل مثل المنصور، ويبدو حتى أن إتران نفسه لم يكن يطمئن إليها لذلك ذكر تعليقاً عليها مشيراً إلى أن أحد المؤرخين الفرنسيين يؤكد بأن السفارة التي أرسلها المنصور قد استقبلت بفتور من قبل الباب العالي.<sup>(٦٤)</sup>

(٦٢) حجي، محمد، ، ٥٧٦ / ٢.

(٦٣) إتران، عزيز سامح، ، ص ٢٥٧.

(٦٤) نفسه، ص ٢٥٧.

ورغم مظاهر الود التركية المغربية، إلا أن المنصور لم يكن مطمئناً إلى الجانب التركي، وخاصة بعد ثبوت تدخلهم في بعض الثورات ضده،<sup>(٦٥)</sup> مع أن السلطان مراد قد أقترح على المنصور تعاوناً مشتركاً لفتح الأندلس، وتزويجه من إحدى بناته.<sup>(٦٦)</sup> بل إن المراجع تذهب إلى أكثر من ذلك، فتشير إلى أنه بعد تبادل السفارات بين الطرفين، وكون المغرب أصبح مضافاً إلى نفوذ الدولة العثمانية، فإن السلطان العثماني قد أصدر فرماً، يخول فيه أحمد المنصور حق حصر الحكم بعائلته جيلاً بعد جيل. وقد حمل هذا الفرمان إلى المغرب سفيراً المنصور إلى الباب العالي وهما علي بن وداد الفرمي والكاتب أبو العباس أحمد بن علي حفظلي. وجاء فيه: "إلى حاكم فاس مولاي أحمد. بالرسالة التي أرسلتها مع شخص من طرفكم أثبت فيها الإخلاص والمودة لسدتنا العلية، لذلك قررنا منحك حق الحكم ولن سيأتي من نسلك جيلاً بعد جيل بدون انقراض. وعممنا هذا الفرمان على سائر ممالكنا المحروسة وحكامها، وبأنك أصبحت من جملة الممالك المضافة إلى ممالكنا المحروسة... وما دامت تبعيتكم لمعالينا تعتمد على الصداقة والإخلاص، ولقاء هذا الإخلاص ستحكم البلاد نسلًا نسلًا إلى يوم القيامة. بلغ الفرمان إلى أوجاق الغرب بتاريخ ٢٣ رجب ٩٩٠هـ".<sup>(٦٧)</sup>

إن هذا الفرمان قد جاء كرد فعل من قبل الدولة العثمانية على توتر الموقف بين المغرب والجزائر العثمانية، ذلك التوتر الذي بلغ حد تجهيز حملة العلي الذي وصل

(٦٥) الفشتالي، عبدالعزيز، ص ٥٧ - ٦١.

(٦٦) كريم، عبدالكريم، ص ١١٠ - ١١٢.

(٦٧) إلتز، عزيز سامح، ص ٢٥٩ - ٢٦٢؛ بنحادة، عبد الرحيم،

ص ١١٦. ذكر البعض أن السفير والكاتب هما: أحمد بن وده العمراني وأحمد

بن يحيى الهوزاني. (انظر الجمل، ص ١٨٣).

بأسطوله إلى ميناء الجزائر في عام ٩٨٩هـ / ١٥٨١م. بقصد تأديب المنصور، لكن هذا الأخير تمكن عن طريق سفيره المذكور من امتصاص غضب السلطان وترضيته وتبديد معظم مخاوفه التي بثها بعض المغرضين من أصحاب المصالح الذين زينوا له فتح المغرب ومنازلة المنصور حينما قالوا له: "قد ضاع صنيعك في هذا الغادر وضيع والدك من قبلك".<sup>(٦٨)</sup> وكان في مقدمة هؤلاء المتآمرين العليج علي نفسه. وغير بعيد أن من أسباب توتر الموقف بين الجانبين هو تراجع المنصور عن سياسة سلفه عبد الملك المتمثلة بالدعاء للسلطان العثماني في خطب الجمعة. حيث أصبحت تلقى باسم المنصور الذي تلقب بـ"الخليفة" و"الإمام" و"أمير المؤمنين" وعقد المجالس على هيئة الخلفاء مما أغضب العثمانيين عليه. كما أن المنصور قد نظر إلى هدية السلطان مراد عشية الانتصار في معركة وادي المخازن بشيء من التقليل والاحتقار.<sup>(٦٩)</sup>

يبدو بأن العلاقات المغربية العثمانية قد دخلت بعد ذلك في مرحلة جديدة من المودة والصفاء، لم تنقطع خلالها السفارات بين البلدين. ورغم تلويح المنصور في أكثر من مناسبة إلى التقرب من الأسبان حينما يشعر بتهديد الأتراك له، إلا أن السلطان مراد قد كتب إليه يقول: "لك علي العهد أن لا أمد يدي إليك إلا للمصافحة وأن خاطري لا ينوي لك إلا الخير والمسامحة".<sup>(٧٠)</sup>

ظل المنصور السعدي حذراً في تعامله مع الجانب التركي، وقد تجلّى ذلك الحذر لديه في رسالته المطولة التي بعثها إلى ولي عهده ابنه الشيخ المأمون في فاس يعتبر عليه من خلالها ثقته في بعض رجال قبائل مغربية كانت لهم مواقف عدائية مع السعديين ويوضح

(٦٨) الناصري، أحمد، ، ٩٥/٥.

(٦٩) بنحادة، عبد الرحيم، ، صص ١١٣ - ١١٤.

(٧٠) نفسه، ص ٩٧.



مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية

له في رسالته بأن هؤلاء سينقلون أخباره إلى الأعداء الأتراك وأنهم سيكونون عورات على البلاد وقد يساعدون الأتراك ضده. كتبت هذه الرسالة في مطلع جمادى الأولى عام ١٠١١هـ.<sup>(٧١)</sup>

يدل ذلك على أن المنصور ما زال يكن العداوة للأتراك مهما تظاهر الجميع بالمودة والصفاء. وقد صدقت مخاوف المنصور، فحين ثار ابنه المأمون عليه حوالي عام ١٠١١هـ، وعلم بخروج والده لتأديبه، جمع المأمون أنصاره وعزم على التوجه نحو الأتراك في تلمسان.<sup>(٧٢)</sup>

إذا ما حاولنا أن نتعرف على أسباب هذا التغيير في الموقف التركي نحو المغرب وجنوح الباب العالي نحو تأييد الثورات الداخلية في المغرب ضد المنصور، فإننا سنجد أن فكرة الخلافة الهاشمية لدى المنصور كانت سبباً في حصول ذلك الموقف. فالمنصور قد استغل فترة التحسن في العلاقات مع الباب العالي ليتفرغ لتطبيق فكرة الخلافة. وقد بدأت معالم هذا التخطيط منذ مطلع عام ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م حين أرسل جيشاً لفتح توات وتيكورارين في بلاد الصحراء واستقبل مبعوثاً من ملك بورنو- كانم وكتب إلى إسكيا ملك كاغو بشأن معدن الملح الموجود في ممالح بين المغرب والسودان الغربي. وكان المنصور قبل ذلك قد استفتى الفقهاء فيمن يرجع إليه أمر المعادن فأفتوه بأن ذلك راجع إلى نظر الإمام - الخليفة - لا إلى غيره وأرفق الرسالة بالفتوى.<sup>(٧٣)</sup>

لقد أراد المنصور أن ييسط حكمه على الأقاليم الجنوبية بدعوى التبعية اللازمة، وكان يعلم أن العثمانيين ولو أرادوا الاستخلاف، بحكم الأمر الواقع النابع من حكمهم

(٧١) الإفرائي، محمد، ص ص ١٧٤ - ١٧٩.

(٧٢) نفسه، ص ١٨٠.

(٧٣) حجي، محمد، ص ٥٧٧ / ٢.

فهد بن محمد السويكت

لكل البلاد العربية وبعض البلاد الإسلامية، فإنهم بعيدون مادياً عن المغرب وتلك الأقاليم. ولذلك كان يخاطب سلاطين بني عثمان بالسلطين ويخص نفسه بلقب الخليفة.<sup>(٧٤)</sup>

وصل رسول صاحب برنو - كاتم إلى فاس في عام ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م يطلب من المنصور المساعدة وإمداده بالمال والسلاح ليتقوى بذلك في جهاده ضد الكفار في أقاصي السودان. وقد اشترط عليهم المنصور الاعتراف بخلافته وبيعته كشرط للمساعدة. وكان صاحب برنو أدريس ألوما قد طلب المساعدة من العثمانيين فلم يأبهوا لطلبه، فتوجه نحو المنصور. وقد جاء في شروط بيعة ملك برنو - كاتم له بالخلافة: "أن الجهاد الذي يتحلونه ويظهرون الميل إليه والرغبة فيه لا يتم لهم فرضه ولا يكتب لهم عمله ما لم يستندوا في أمرهم إلى إذن من إمام الجماعة الذي اختص الله أمير المؤمنين بوصفه إذ هو الكافل لهذه الأمة ووارث تراث النبوة... وخصه بالشرف القرشي الذي هو شرط في الخلافة بإجماع من علماء الإسلام.... وألزمهم القيام بأقطارهم بدعوته ومجاهدة أعدائهم... وعلق لهم على البيعة بهذه الشروط فالتزمه الرسول...".<sup>(٧٥)</sup>

تبين هذه البيعة، من خلال نصوصها، رأي السعديين في شرعية خلافتهم وبطلان غيرها مما يدعيه الآخرون، وقد تحقق للمنصور من وراء هذه البيعة عدة أمور منها:<sup>(٧٦)</sup>

- قطع أمل العثمانيين في ربط علاقاتهم بهذه المنطقة من إفريقيا.

(٧٤) الغربي، محمد، ، ص١١٢.

(٧٥) الفشتالي، عبدالعزيز، ، ص ص٦٨ - ٦٩؛ الناصري، أحمد، ، ١٠٤/٥ - ١١١.

(٧٦) الغربي، محمد، ، ص١٥٦.

مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية

- فتح الباب أمام أية خطة لتطويق الأتراك من الجنوب حيث أن برنو-  
كانم كانت تتاخم مصر وبرقة وطرابلس وتونس.
  - وصول سمعة واسم المنصور مع ما كان يحمله من الهيبة إلى تلك النواحي.  
بعدما أطمئن المنصور إلى نجاح هذه المحاولات التمهيدية لتثبيت خلافته الهاشمية،  
قام بتنفيذ الخطوة الأهم في نظره وهي مسألة التدخل في مملكة صغني في عام ٩٩٩هـ/  
١٥٩١م. وقد برر المنصور فتحه لها بما يلي:
  - (أ) جمع كلمة المسلمين لأن أميرهم معزول شرعاً ما دام لا يتوفر على  
الشروط الضرورية وفي مقدمتها القرشية، أي أن المنصور بحكم قرشيته وما يتوفر له من  
شروط الإمامة يريد أن يصبح خليفة يحكم في مملكة صغني.
  - (ب) ضمان خراج وافر لبيت المال بحكم التبعية.
- وتأتي الخلافة في الدرجة الأولى؛ لأنها متى ما تمت ضمنت وفرة الخراج، كما أن  
هاجس الخلافة عند المنصور لم يكن يتوقف عند ذلك الحد، فهو كان يهدف بفتح السودان  
لبسط خلافته على البلاد العربية الخاضعة للأتراك. فهو بذلك يخطط لخلق مجال أوسع  
لخلافته، قد يشمل على مراحل، مناطق عربية وأخرى إسلامية نائية لم تصلها أقدام  
الأتراك.<sup>(٧٧)</sup>
- لقد استاء السعديون من أخذ أسكيا محمد ملك صغني لقب خليفة بلاد التكرور  
والسودان الغربي من الخليفة العباسي في مصر، واعتبروه منافساً لهم على المنصب  
الروحي، لذلك فالحكم المغربي في السودان الغربي اعتمد على أساسين هما:
- ممارسة إحدى واجبات الخلافة الإسلامية.

- البيعة العامة. فالمنصور اعتبر نفسه الخليفة الشرعي الوحيد المسلمين.<sup>(٧٨)</sup>  
لم تكن أوضاع العالم العربي المضطربة في أواخر القرن السادس عشر تحفى على المنصور الذي حاول استغلالها، فاتخذت محاولاته للتدخل في شؤون الشرق العربي مظاهر عديدة منها:<sup>(٧٩)</sup>  
: إحكام الصلات مع كبار العلماء والفقهاء بالعالم الإسلامي شعوراً منه بأهمية الدور الذي يلعبه هؤلاء لدى عامة الناس. وقد تبادل المراسلات العديدة معهم بدافع:

- الترغيب في التأليف لخزائنه.
  - إجازتهم له.
  - إطلاعهم على أوضاع المغرب الداخلية والخارجية.
  - إرسال المزيد من المعلومات عن الدولة السعدية والخلافة المغربية.
- وقد جاءت ردود كثيرة من هؤلاء العلماء من مختلف الأقطار الإسلامية وخصوصاً مصر والشام وفارس والجزائر ومكة والمدينة والقسطنطينية.
- : إرسال الدعاة إلى الشرق الإسلامي بصفة سفراء وتجار وطلاب علم وحجاج ورحالة وغير ذلك، وقد قام هؤلاء الدعاة بالاتصال بعدد كبير من العلماء والوجهاء وعلية القوم في الشرق العربي مبشرين بدعوة المنصور وداعين إلى خلافته العربية الهاشمية. متخذين من بيوت بعض علماء المشرق أماكن لنشر الدعوة لخلافته، لدرجة أن

---

(٧٨) الجمل، شوقي،  
منشور ضمن مجموع تحت عنوان: المغرب وأفريقيا جنوبي الصحراء في بدايات العصر الحديث،  
ص ص ٥٢ - ٥٤.

(٧٩) كريم، عبدالكريم، ، ص ص ١٨٢ - ١٨٧.

مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية

بعض أهل المشرق لم يعد يقر بشرعية الخلافة العثمانية، حيث أثرت عليهم مقولة أن العثمانيين من جملة المماليك الذين دافع الله بهم عن المسلمين وقلدوا الأمر نيابة وأمانة يؤدونها إلى من هو أحق بها وهم الأشراف السعديون والذين يمثلهم الخليفة المنصور.<sup>(٨٠)</sup>

لقد اتسع نفوذ المنصور، ودخلت في طاعته بلاد كثيرة وخاصة في الأقاليم الصحراوية حيث "انتظمت الممالك السودانية في سلك طاعته ما بين البحر المحيط إلى بلاد كنو المتضامة لبلاد برنو... وتنتهي مملكة برنو إلى بلاد النوبة المتضامة لصعيد مصر... فكلمة المنصور نافذة فيما بين بلاد النوبة والبحر المحيط...".<sup>(٨١)</sup>

حرص المنصور أن يعيد للمغرب أمجاد الدولة الإسلامية الكبرى والإعلان بحق عن إمامته العامة، وقد وجه رسالة في ٨ شعبان عام ٩٩٩ هـ، وجهها إلى الشرفاء والفقهاء وكافة الأعيان من أهل فاس وسائر ممالكه، عشية انتهاء أعمال فتح السودان الغربي، استهلها بـ "حمداً لله الذي شرف ملة الإسلام على الملل والدولة القرشية على سائر الدول وخصوصاً هذه الدولة الكريمة المقدسة الفاطمية العلوية الحسنية... وصدع بأنوار خلافتها النبوية...".<sup>(٨٢)</sup>

إن العثمانيين قد نظروا إلى الأحداث الجارية في المغرب، مثل معركة وادي المخازن، والتوسع في مملكة صنغي، بأنها أحداث تجري من أتباع العثمانيين طالما أن

(٨٠) التمكروتي، علي، ، ص ١٣٥ ؛ كريم، عبدالكريم، ، ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٨١) الإفرائي، محمد، ، ص ٩٥ ؛ الفشتالي، ، ص ١٦٤.

(٨٢) الفشتالي، عبدالعزيز، ، ص ١٤٢ - ١٤٦ ؛ حسن، إبراهيم شحاته،

، ص ٢٤٠ - ٢٤٥.

المحرك لها هم السعديون. بمعنى أنهم يسلبون السعديين أية استقلالية ويجعلون تلك الجهات تابعة لهم لمجرد تبعيتها للسعديين.<sup>(٨٣)</sup>

إن الصراع الخفي الذي دار بين السعديين والعثمانيين في الربع الأخير من القرن ١٦م، دار في جزء هام منه في الصحراء وما والاها. فالمراسلات التي تعددت بين مراكش وبورنو وكاغو، تدل على أن الدوافع الاقتصادية، بالرغم من أهميتها، إلا أنها لم تكن لوحدها الدافع القوي في توجه المنصور نحو تلك البقاع، فالمنصور لم يغفل في تلك المراسلات أية مناسبة للتذكير بنسبه الشريف وكونه ينحدر من قريش وبالتالي كونه أحق الحكام المسلمين الموجودين بالخلافة والإمامة الكبرى. لذلك فنظرية الخلافة لديه قناة من قنوات نشر النفوذ السعدي جنوب الصحراء والمنافسة للنفوذ العثماني.<sup>(٨٤)</sup> كما أن حملة المنصور إلى السودان كان من أسبابها القوية الرغبة في تبوء منصب الخلافة وبسط النفوذ، حيث أن هاجس الخلافة لدى المنصور كان عاملاً متجذراً منذ أن نشأت فكرة الخلافة عند قيام الدولة السعدية، فتلقب ملوكها بالألقاب خلافة مثل: القائم بأمر الله، ثم المهدي مروراً بالغالب بالله وأخيراً المنصور. لذلك فنظرية الخلافة وحملة المنصور على السودان مكمل بعضها للآخر:<sup>(٨٥)</sup> كما أن مثل تلك الألقاب التي تلقب بها المنصور، تضع مسألة التبعية التي أشارت إليها بعض المراسلات العثمانية، موضع الشك فهي بدون ريب تؤكد فكرة التنزع حول "الخلافة" بين المنصور والباب العالي.<sup>(٨٦)</sup>

(٨٣) المودن، عبدالرحمن، ، منشور

ضمن مجموع بعنوان: المغرب وأفريقيا جنوبي الصحراء في بدايات العصر الحديث، ص ١١-٢٠.

(٨٤) المودن، عبدالرحمن، ،...، ص ص١٤-١٥.

(٨٥) حجي، محمد، ، ٥٧٤ / ٢ - ٥٧٥.

(٨٦) بنحادة، عبد الرحيم، ، ص١٢٤.

مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية

بعد أن أطمئن المنصور إلى انتظام الممالك الواقعة جنوب الصحراء في طاعته، وجه عناية خاصة نحو مصر لكونها تتبوء مركزاً استراتيجياً مهماً كبوابة للمشرق، فسعى إلى بسط نفوذه فيها معتمداً في ذلك على: <sup>(٨٧)</sup>

**أولاً:** علاقاته القوية مع بعض كبار علمائها وتبادل المراسلات معهم والتي تضمنت:

- تمجيد المنصور لخلافته العربية.
- مطالبته العلماء بالدعاء له وخلافته.
- تصريح بعض كبار علماء مصر كالبيكري بمعادة الأتراك والتعبير عن رغبته في أن يكون الخلاص منهم على يد المنصور.

: محاولات المنصور الاستفادة من الأحوال المضطربة في مصر ضد الأتراك.

: إمكانية الوصول إلى مصر طالما أنها قد غدت متاخمة لحدود الإمبراطورية

السعدية وخاصة من جهة برنو المتاخمة لحدود صعيد مصر.

: أمني المنصور في نشر لواء خلافته العربية الهاشمية على العالم الإسلامي.

لقد عكست بعض تصريحات علماء مصر الكبار مثل البيكري مدى استياء هؤلاء من الحكم العثماني والرغبة في التخلص من الأتراك. وذلك حين يقول: "واعجباً من طلوع الشمس من المغرب أماناً للعالم... استطار ذكره بين نقطتي الشروق والغروب... وحشرت لدعوته أفئدة الموحدين فالكل ينادي البدار البدار.. غرة مولانا أمير المؤمنين وقبله الموحدين فأصبح الإسلام متوجاً منه بعزة الحي القيوم... وتشرف به تحت الخلافة على الممالك... يناصرهم من فتاك الأتراك...". <sup>(٨٨)</sup>

(٨٧) كريم، عبدالكريم، ص ص ١٨٧ - ١٨٨.

(٨٨) ابن القاضي، ، ٢١٠/١ (دراسة المحقق).

لقد اشتبه الأتراك في الاتصالات القائمة بين المغاربة والمصريين وارتابوا من أن شيئاً ما يدبر في الخفاء ضدهم، فشددوا الرقابة بل منعوا الإتصالات الجديدة بين مصر والمغرب، الأمر الذي حدا بالمنصور إلى أن يرأسل الوالي التركي بمصر في شأن التوصية بالوفد المغربي والتأكيد له بأن الوفد لن يقوم بأي إتصال في مصر إلا بالتشاور مع الباشا: "وجهنا لهذا الغرض... رجلاً أرسلناه إليه، وألزمناه الاقتصار عليه، وهو مبلغه إليكم خديماً الحاج أحمد الوجاني وجعلنا وجهته إلى بابكم وأمرناه بحط رحاله برحيب فناء جنابكم فاجعلوا عبئه من جملة كلفكم، وآووه من فضلكم إلى كريم كنفكم... وقد ألزمناه أن لا يقطع أمراً من الأمور إلا بأمرك ومشورتك... والسلام".<sup>(٨٩)</sup>

لم تحف على الأتراك النوايا الحقيقية للمنصور، وليحمي الأتراك بصفة خاصة جنوب مصر من أي تدخل مغربي، عمدوا إلى إمداد بعض أمراء وحكام المناطق الواقعة جنوب الصحراء، بالأسلحة لمواجهة التوسع المغربي، وتركز اهتمامهم على الأراضي الموالية لمصر مثل النوبة والحبشة.<sup>(٩٠)</sup>

ومع ذلك استمر المنصور في محاولاته الرامية إلى زعزعة الثقة في الأتراك بالمشرق، متخذاً ذريعة الحق الشرعي (الخلافة) ليصل إلى أهدافه السياسية، فألحق بكبار العلماء، في المشرق، وخصوصاً في مصر، موظفين بصفة طلاب وأجري عليهم الجرايات، بل وأوصى بعض أولئك العلماء بالاهتمام الخاص بأحد أولئك الوافدين ومد يد المساعدة له. وكان هؤلاء الموفدون المكلفون بأغراض الدعاية للمنصور، يرفعون تقاريرهم إليه باستمرار، ويبدو أنه كان مطمئناً لسير هذا العمل ومتفائلاً بإمكان خلق مناخ طيب يزاحم

(٨٩) نفسه، ص ٢١١.

(٩٠) المودن، عبدالرحمن، ...، ص ص ١٦ - ١٧.



مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية

من خلاله العثمانيين.<sup>(٩١)</sup> حتى اليمن لم تكن في منأى من أطماع المنصور فيها، فقد عين فيها قاضياً مكياً يدعى الشريف الأديب أبي الفضل المعروف بابن العقاد المكي، بعد أن أنعم عليه بالمال والخلع والكسي و"كتب له كتاباً لخاقان ملك الأتراك يوليه خطة القضاء باليمن فنفذ ذلك خاقان كما اشتهر.... وابن العقاد هذا قال في مدح المنصور شعراً كثيراً حين وفد عليه..."<sup>(٩٢)</sup>.

يزعم المنصور في مراسلاته لأهل المشرق بأنه يعد العدة لفتح الأندلس وأن فتحه لبلاد السودان هو من أجل التقوى بذلك. ويبدو أن تلك الحجة كانت واهية بدليل أن المنصور وهو في عز قوته وتمكنه لم يستطع بل لم يرد أن يحرر ترابه الوطني من سيطرة البرتغاليين في البريجة رغم ما كانوا عليه من الضعف خصوصاً بعد هزيمتهم الساحقة في معركة وادي المخازن ٩٨٦هـ / ١٥٧٨ م. كما لم يفعل شيئاً يذكر لطرد الأسيبان من سبته ومليليه. ولذلك تبقى مزاعم المنصور حول فتح الأندلس مجرد أمنيات واهية ويبقى السر في فتح السودان هو البحث عن المال والأجناد الشخصية وتحقيق الآمال في الخلافة.

أما أهل الحجاز فقد كتب إليهم المنصور بعد القضاء على ثورة ابن أخيه الناصر في عام ١٠٠٤هـ / ١٥٩٦ م، رسالة مطولة وجهها إلى "صاحب مكة والمدينة وأرض الحجاز السلطان حسن ابن أبي نمي"<sup>(٩٣)</sup> يطلب من خلالها أن يهتم السلطان بشأن الركب المغربي وأن يولي عناية خاصة بشيخه الحاج محمد بن عبدالقادر، ويلتمس الدعاء له بالتأييد والتمكين.

(٩١) الغربي، محمد، *بداية*، صص ١١٣ - ١١٥.

(٩٢) الإفرائي، محمد ، صص ١٢٥ - ١٢٨؛ الفشتالي، عبدالعزيز، ، صص ٢٣٣.

(٩٣) الفشتالي، عبدالعزيز، ، صص ١٨٧ - ١٩١.

حاول المنصور أن يجتذب إليه قلوب أصحاب الفكر والمعرفة في العالم العربي، وذلك ببذل المال والعطاء لأصحاب التأليف والشعراء والأدباء حتى يجري ذكره والدعاية لخلافته الهاشمية على ألسنتهم "فكثر الوارد عليه من كل فج عميق من نحو الحرمين الشريفين، وبيت المقدس ومصر والشام والعراقين وأهل الهند وغيرهم... كما وفد عليه طائفة من شرفاء مكة ومن شرفاء المدينة فأجزل لكل منهم..."<sup>(٩٤)</sup>

لقد اجتازت مؤلفات المغاربة وأشعارهم ورسائلهم في عهد المنصور الحدود فوصلت إلى بلاد المشرق والسودان وتنافس العلماء والأدباء في اقتنائها والتعليق عليها بالشرح والاعتباس والنقد والتقريظ. وهكذا نجد أن جل كتب التاريخ والتراجم المشرقية التي كتبت في ذلك العهد تحمل صفحات عديدة في تراجم المغرب السعدي.<sup>(٩٥)</sup>

لقد حرص المنصور أن تشيع أخبار خلافته في المشرق، لا سيما في مصر، التي أجابه بعض علمائها فأرسلوا إجازاتهم له وأثروه بالمدح واستحقاق الخلافة له دون سواه ومنهم أبو عبدالله محمد بن أبي الحسن البكري (ت ٩٩٤هـ / ١٥٨٥م) وأبو عبدالله محمد بن يحيى المصري المشهور ببدر الدين القرافي (ت ١٠٠٩هـ / ١٦٠٠م).<sup>(٩٦)</sup>

لا شك بأن المنصور كان يريد بث خلافته الهاشمية عن طريق هؤلاء الأعلام ليسهل قبولها عند الآخرين. ولا يخفي الفشتالي كاتب المنصور الرسمي ووزيره هذا التوجه لدى المنصور وذلك حين حديثه عن ابن القاضي ورحلته إلى الشرق ومقابلته للعلماء هناك وعودته إلى المغرب ثم عزمه السفر مرة أخرى إلى المشرق فيقول: "وكانت له نية بالغة في نشر مآثر مولانا الإمام أمير المؤمنين ... في الأفاق فجمع من مفاخر الدولة

(٩٤) ابن القاضي، ، ٢٢٨/١، ٢٥٢ - ٢٥٥.

(٩٥) نفسه، ص ٢٢٨ (تعليق المحقق).

(٩٦) الناصري، أحمد، ، ١١٥/٥؛ الفشتالي، عبدالعزيز، ، ص ١٨٨.

مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية

وأمداحها وفتوحها ومآثرها ما أملى بثه في الأقطار ونشره في المشارق لو ساعدته الأقدار".<sup>(٩٧)</sup>

إن أشهر الإجازات التي مجدت المنصور ورفعت من شأنه في المشرق وخاصة في مصر هي إجازة رئيس أئمة العلم بالديار المصرية الشيخ البكري التي كتبها في رابع عشر ربيع الثاني عام اثنين وتسعين وتسعمائة. وكذلك إجازة الشيخ بدر الدين القرافي الذي أشار فيها إلى أنها استجابة وتلبية لطلب المنصور نفسه. وهي طويلة جداً انتهت من كتابتها في جمادى الأولى عام ١٠٠٠هـ. إلى جانب مؤلفات كثيرة وصلت إلى خزانة المنصور من مصر والشام.<sup>(٩٨)</sup>

وقد أشار ابن القاضي في بعض ما شاهده أثناء رحلته إلى المشرق بأنه قد حضر مجالس ذكرت فيها سيرة المنصور في كل من مصر والإسكندرية والصعيد وجدة ومكة والمدينة، فكان الناس يتمنون أن يكونوا من رعاياه والداخلين في طاعته وبيعته، إلى درجة أن بعضهم قد أقسم الأيمان المغلظة أنه لو رأى جارية تدعو للمنصور لاستجاب لها، وأن محبة المنصور نافذة في تلك الديار وأنهم قد فرحوا حين حقق المنصور النصر في معركة وادي المخازن على عكس الأتراك الذين ساءهم أن يكون ذلك الانتصار على يد أمير عربي وأن العرب في المشرق أصبحوا يفتخرون بذلك على الترك. ويمضي ابن القاضي في ذلك قائلاً: "وبالجملة فأهل المشرق قلوبهم بأجمعها مقبلة عليه وأحداقهم ناظرة إليه... لما يجدونه من ألم الترك وكثيراً ما ينشدون:

(٩٧) الفشتالي، عبدالعزيز، ص ٢٣٠.  
(٩٨) الفشتالي، عبدالعزيز، ص ص ٢٦٩ - ٢٩٤.

لا تركنن لتركي وإن عظمت من العبادة حتى طارفي السحب  
إن جاد يوماً فكان الجود عن غلط وإن تنمر عن أم له وأب... " (٩٩)

أما سفير المنصور لدى العثمانيين فبعد أن أكد على أهمية وأحقية السعديين بالخلافة دون غيرهم مدعماً أقواله ببعض الأحاديث والآثار، أضاف قائلاً: "تالله لقد كان من تحدثنا معه من خيار أهل تونس وأعيان مصر الذين لقيناهم بالقسطنطينية يكون على ذلك (أي الدخول في طاعة المنصور) بالدموع ويتحبون، ويودون لو وجدوا سبيلاً إلى الانتقال إلى المغرب والتخلص إليه لاشتروه بالدنيا وما فيها. فرح الله عليهم وأدام علينا أهل المغرب ما خصنا به..." (١٠٠). لقد اجتمع لدى المنصور ذات يوم، ثلاثة أعلام كل واحد منهم ينتمي إلى مدينة من مدن المشرق التي تشد إليها الرحال، فأحدهم من المدينة والآخر من مكة والثالث خليلي من بيت المقدس، وقد أنشد أحدهم في حضرة المنصور:

إن أمير المؤمنين أحمد بحر الندى وفضله لا يجحد  
فمكة وطيبة أهلها والمسجد الأقصى بذاك يشهد

ونظراً لكرم المنصور وجزالة عطايه مع من وفد إليه أو أجازته أو أرسل إليه تأليفاً، فقد ألف لدولته جماعة من أكابر علماء القسطنطينية ومصر وغيرها من بلاد المشرق. (١٠١)

(٩٩) ، ٨٤٦/٢ - ٨٤٧.

(١٠٠) التمكروتي، علي، ، ص ١٣٦، ٧٦.

(١٠١) المقري، أحمد،

، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٤م، ص ١٤ - ١٨؛ ابن القاضي، أحمد، ،

مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية

لقد حرص المنصور في مراسلاته لعلماء مصر على أهمية ما يصل المغرب من كتاباتهم وإجازاتهم، بل استمر يرسل أبناء العلماء بعد وفاة آبائهم ويجزل لهم العطايا ويطلعهم على تاريخ بلاده، عن طريق إرسال بعض النابغين من أبناء المغرب، حفاظاً على استمرار علاقات الود والمحبة في هذه الطبقة ذات التأثير الواضح في المجتمع.<sup>(١٠٢)</sup> وكانت آخر المحاولات للمنصور، لبث أفكار الخلافة الهاشمية في المشرق هي عزمه على توجيه وفد إلى حلب في عام ١٠٠٨هـ/١٦٠٠م، وذلك حين أرسل سفارة إلى لندن للتفاوض مع الإنجليز حول مسألة التعاون المشترك ضد الأسيان. وقد ضمن مطالبه من الملكة إليزابيث مطالبته بنقل وفد مغربي إلى حلب للقيام بمهمة خاصة، مستغلاً بذلك الظروف السيئة التي تمر بها منطقة الشرق ضد العثمانيين. لكن الإنجليز لم يساعده في تحقيق هذه الأمنية حتى لا تتعرض مصالحهم في الشرق وروابطهم المتينة مع استنبول إلى الأخطار. لذلك اعتذروا إليه، وتفهم المنصور ذلك الموقف منهم في رسالة كتبها إليهم: "وأما ما أقامه مكانكم من العذر عن عدم تجهيز أصحابنا إلى جهة حلب، فقد قبلنا عذركم".<sup>(١٠٣)</sup> ويظهر أن مهمة هذا الوفد هي بالإضافة إلى مسألة الدعاية لخلافة المنصور، تتمثل في نقل كتاب: مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، وبالتالي توزيع عدة نسخ منه في حلب نظراً لغزارة المعلومات المتوفرة فيه عن دولة المنصور وتجدد خلافته.<sup>(١٠٤)</sup>

، دار النشر المغربية، الدار

(١٠٢) رزق، يونان ومحمد مزين،

البيضاء، ١٩٨٢م، صص ١١٥-١١٧.

(١٠٣) الفشتالي، عبدالعزيز، ، صص ٨-٩.

(١٠٤) كريم، عبدالكريم، ، صص ٢١٣-٢١٥.

مما لا شك فيه بأن الدعاية للمنصور، كان لها وقع في الأوساط المشرقية، غير أن القناعات التي ظهرت في المشرق حول أحقية الشرفاء بالخلافة من العثمانيين لم تكن تتعدى حد القول المجرد، بينما اختلف الوضع في المغرب، فغدا أنصار المنصور وخدامه يذيعون في حواضر المغرب وبواديه بأن السلطان هو الخليفة العظيم والوحيد للمسلمين المسموح له بفتح الأقطار وسياسة الخلق. وقد ظهرت مثل هذه الدعايات لخلافة المنصور في المناسبات الخاصة باحتفالات أعياد المولد النبوي التي كان المنصور يوليها عناية كبرى. فتلقى أمامه أثناءها القصائد الرنانة والمدائح التي تمجده وتدعوه لإرسال جيوشه لافتتاح مصر والشام والعراق والحرمين.<sup>(١٠٥)</sup>

لقد تسمى السلطان أحمد منذ توليه السلطة بالخليفة المنصور، تخليداً للانتصار في معركة المخازن من جهة، ومن جهة أخرى لأن الحكام السعديين لأصلهم العربي، ونسبهم الشريف، كانوا يعتبرون دولتهم بعثاً وتجديداً للخلافة الهاشمية، وبأنهم أحق بخلافة المسلمين من العثمانيين. وقد اتخذ المنصور كل ألقاب الخلافة فهو أمير المؤمنين، وإمام الجماعة، وركن الأمة، والخليفة المخصوص بتراث الرسالة، ومالك إمرة المؤمنين. وكذلك ذكر اسمه في الخطب، والسكة ونحو ذلك من شارات ومعالم الخلافة.<sup>(١٠٦)</sup>

درج الفشتالي، كاتب المنصور ووزيره، على تلقيب ملوك وسلطين الأسرة السعدية بالخلفاء حتى أولئك الذين استعانوا بالمسيحيين، وملكوهم أجزاء من وطنهم في سبيل الحصول على السلطة أمثال المتوكل. فالمؤلف يطلق لفظ الخلافة عليهم جميعاً، ويسميهم خلفاء. بل إنه يرى بأن طاعتهم مفترضة على الجميع، وخاصة المنصور الذي

(١٠٥) الغربي، محمد، صص ١١٥ - ١١٦.

(١٠٦) ابن القاضي، أحمد، ص ٢٢١/١ (تعليق المحقق).

مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية

بالغ الفشتالي في تمجيده، وتكريس الخلافة له دون سواه "المفترضة طاعته على الخلق أجمعين... وأوضح الله للناس من اعتقاد وجوب طاعته والاعتقاد بإمامته والانقياد لدعوته وتقليد بيعته...". ويستمر الفشتالي يورد الدلالات التي هي في نظره تعطي الحق للمنصور بالخلافة دون منازع: "وأن القائم بهذا الأمر على الإطلاق غيره دعي ومحاوله دون إذنه المشروع يدعي"، "وأمر المؤمنين هذا... هو اليوم إمام الجماعة... وقبة تاج الخلافة النبوية ومقعد كرسياها...".<sup>(١٠٧)</sup> ويكفي لمعرفة ذلك إلقاء نظرة على نص تجديد البيعة لولي عهد المنصور الذي حرره الفشتالي نفسه.<sup>(١٠٨)</sup>

ومن تكريس المؤلفين المعاصرين للمنصور لمبدأ خلافته وأحققته للنهوض بهذا الأمر دون سواه ما تردده بعض الروايات من أمور غيبية أخبر بها من يسمون بالأولياء، أو تلك الرؤى التي رآها أكثر من شخص، أو رآها المنصور نفسه في المنام، وهي رؤية النبي وهو يقول له بأن الخليفة هو المنصور. بل تتحدث الروايات عن مصر التي بشر علماءها بخلافته قبل أن يأتي زمانه حين سألوا عن من اسمه أحمد من الأسرة السعدية.<sup>(١٠٩)</sup>

قال المنصور في رؤياه: "ثم كاشفني صلى الله عليه وسلم فيما عن لي السؤال عنه عن الخلافة بما حقق لي منالها ومصير أمرها إلي"، ثم يواصل الفشتالي في هذا الصدد فيقول: "فكان من مصداق تلك الرؤيا الكريمة مصير الخلافة إليه...". "فاستوى على كرسي الخلافة... واستوى على سرير الخلافة واثالت على بابه بها أرسال الملوك مهتئين...".<sup>(١١٠)</sup>

(١٠٧) الفشتالي، عبدالعزيز، ص ص ٢٥ - ٣٠، ٧١.

(١٠٨) الفشتالي، عبدالعزيز، ص ص ٨١ - ٩٣.

(١٠٩) الإفرائي، محمد، ص ص ٧٩ - ٨٠.

(١١٠) الفشتالي، عبدالعزيز، ص ص ٢٦ - ٢٧، ٤٨ - ٥١.

ولا شك أن مثل هذه الروايات قصد أصحابها من وراءها تمجيد من يدعون لإعلاء شأنه واختصاصه بحق الخلافة دون سواه، ويكفي أن نعرف أن ابن القاضي، وهو من المؤرخين المحسوبين على المنصور لأنه صاحب نعمة عليه، قد اتخذ عنواناً لكتابه يوحي بهذا المعنى.

عمل ابن القاضي في الدعاية لخلافة المنصور خارج بلاد المغرب وداخلها، وحين ألف كتابه ضمنه هذا المعنى، وأشار في أكثر من مناسبة إلى أن الخلافة انتقلت من سلف إلى خلف إلى أن وصلت إليه "فألقت عصاها لديه وقصرت أملها عليه".<sup>(١١١)</sup> "لا خفاء على كل ذي خبرة ومعرفة بأخبار الملوك الماضية... أن مخدمنا أيده الله أضخم الملوك ملكاً وأعلاهم همة لقد انتهى إليه من الملك ما لم ينته لغيره ممن تقدمه... ودخل في طاعته ما لم يدخل في طاعة غيره...". وهو يشير في ذلك، كما ذكر محقق الكتاب، إلى الأسباب الدينية وراء فتح السودان والتمثلة بأحقية في الخلافة على كافة المسلمين نظراً لنسبه القرشي.<sup>(١١٢)</sup>

لقد خلد شعراء المنصور في مناسبات المولد النبوي المدائح له باعتباره يملك أو سيملك أكبر قطعة من أرض العالم الإسلامي. فمن ذلك قصيدة لعبدالعزیز الفشتالي في مدح الرسول يعرج فيها على سيده المنصور ويشيد بخلافته فيقول:<sup>(١١٣)</sup>

(١١١) ابن القاضي، أحمد، ، ٢٦٥/١.

(١١٢) ابن القاضي، أحمد، ، ٨٣١/٢ - ٨٣٢.

(١١٣) المقري، أحمد، ، تحقيق إحسان عباس، ج ٥، دار

صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ص ٢٢٨؛ ج ٦، ص ٥٢.



مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية

ويقول في موضع آخر:

ومن قصيدة أخرى للفشتالي بمناسبة عيد المولد النبوي، يجد فيها خلافة المنصور  
ويصرح فيها بأنه أحق من الأتراك المماليك العلوج فيقول: <sup>(١١٤)</sup>

وفي مناسبة أخرى يقول ابن القاضي من إنشائه: <sup>(١١٥)</sup>

ويستمر الشعراء في تمجيد خلافة المنصور، ويصورون للجميع بأن كل من تحت  
سلطة العثمانيين حينذاك يتمنى أن يدخل في طاعته، ويصبح من رعاياه. فمن ذلك قصيدة  
لأبي فارس الفشتالي بمناسبة مولد ١٠٠٩ هـ يقول فيها: <sup>(١١٦)</sup>

(١١٤) ابن القاضي، أحمد، ، ٣٧٤/١ - ٣٧٥.

(١١٥) ابن القاضي، أحمد، ، ٨٤٢/٢.

(١١٦) المقري، أحمد، ، ص ص ١١٩، ١٢٩.

فهد بن محمد السويكت

/

ومن قصيدة له أيضاً في عام ١٠٠٧هـ عندما قدم قائد فتح السودان جؤدر باشا  
يقول فيها:

ويشيد المقرئ كثيراً بمآثر المنصور، حين وفد من تلمسان إلى المغرب في عهد  
المنصور وحضر بعض مجالسه ومناسباته، فيذكر عن بعضهم: <sup>(١١٧)</sup>

ويستمر تغني شعراء المنصور بخلافته وتكريسها له وحده. من ذلك قصيدة للأديب  
محمد بن علي الفشتالي في مناسبة المولد النبوي، وهو غير الفشتالي عبدالعزيز كاتب  
ووزير المنصور: <sup>(١١٨)</sup>

(١١٧) المقرئ، أحمد، ، ٥٤/٦.

(١١٨) المقرئ، أحمد، ، صص ٨-٩، ١٢.

مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية

ومن ذلك أيضاً قول محمد بن علي الهوزالي في بعض المناسبات :

ولمعرفة مدى حماس وتعلق بعض كتاب المنصور وشعرائه بالخلافة الهاشمية لسيدهم ، يكفي قراءة كل من كتابي الفشتالي "مناهل الصفا" ، وكذلك كتاب ابن القاضي "المنتقى المقصور". ففيهما من الإطراء والدعاية ما يكفي لرفعه إلى مقامات كبيرة ، وأحقيته بإمامة وخلافة المسلمين.

شغلت مسألة الخلافة ومن هو الأحق بها ، بالسلطين السعديين ، فانشغلوا بها عن صد أخطار أعدائهم. انشغلوا عن مدافعة الخطر الأيبيري على بلادهم ، بل دفعهم انشغالهم بمسألة الخلافة وأحقيتهم بها من العثمانيين ، إلى مسالة الأسبان والبرتغاليين بعدما كانت بشائر النصر قد لاحت لهم بوارقها إثر معركة وادي المخازن الشهيرة ٩٨٦هـ/١٥٧٨م. وإذا كنا نلوم السعديين في هذا التوجه ، فإن العثمانيين لا يعفون منه كذلك.

إن مسألة الخلاف كان يمكن تجاوزها بتغليب العقل ومصلحة المسلمين على الأهواء والمطامع الشخصية. فالسعديون كانوا لا يمانعون في إقامة تعاون مشترك مع العثمانيين لطرد المحتلين من المغرب والجزائر ، مع احتفاظهم بكامل سيادتهم على بلادهم. في حين لم يستجب العثمانيون لذلك طالما أنه لم يحصل اعتراف بالتبعية وإقرار بالخلافة

فهد بن محمد السويكت

لهم من الجانب السعودي. فأبي فرصة فوتها الطرفان على المتضررين من الاحتلال الأجنبي، بل وعلى المطرودين من مسلمي الأندلس الذين كانوا ينتظرون مثل ذلك الاتفاق لينضموا إليه.

لقد دفع محمد الشيخ السعودي حياته نتيجة لهذا الاختلاف فقرب خلفاؤه أعداء العثمانيين، بل وتنازلوا لهم عن بعض أجزاء من التراب الوطني المغربي. في حين تميز عهد المنصور بالمهادنة المبطنة بشيء من عدم الثقة، حيث ظهرت فيه مسألة الرغبة في إحياء الخلافة الهاشمية قوية لديه وخاصة في خارج بلاد المغرب.

مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية

## **The ashraf Saadi attitude of Morocco towards the ottomans Caliphate**

**Fahad Mohammad Al-Suwaiket**

*Associate Professor, History Dept. College of Arts. KSU*

**Abstract.** The Sharaifi Saadi state in the Maghrib emerged at the beginning of the 10<sup>th</sup> century Hejri / 16<sup>th</sup> century A.C. which coincided with the advent of the Ottoman influence in Algeria, and hence the Ottomans showed a desire to annex the Maghrib. However, the Saadis resisted them and did not recognize their Khelafah, claiming at the same time that the Khelafah is theirs for they are from Quriash. This diverging opinion towards the legitimacy of the Khelafah resulted in a continuing disagreement and tension between the two sides without caring about the serious consequences which resulted because of that.